الاستراتيجية الغربية لاحتواء الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء

أ. عصام زيدان

(باحث سياسي)

ملخص البحث

يأخذ الصراع الحضاري في إفريقيا بُعدًا مزدوجًا ؛ إذ هو صراع بين الحضارة العربية والإسلامية، والحضارة الغربية على حاضر القارة ومستقبلها، ومن زاوية أخرى أجَّج الغرب صراعًا حضاريًّا آخر بين العرب وإفريقيا، وأشعلها حربًا على الوجود العربي والإسلامي في القارة.

الحضور العربي والإسلامي في إفريقيا كان له من الخصائص والميزات الفريدة التي ساهمت في كون أغلبية العرب أفارقة، كما أن أغلبية الأفارقة مسلمون.

لكن الأجندة الغربية وضعت الوجود العربي في إفريقيا على قمة أولوياتها، وراحت ترسم للقارة على العموم، ولإفريقيا جنوب الصحراء خاصة، مصيرًا يهدف إلى عزل الوجود العربي والإسلامي شمال القارة عن جنوبها.

وما يحاك الآن ويدبر ليس إلا امتدادًا لرؤية غربية ضاربة بجذورها في عمق التاريخ الاستعماري الأوروبي للقارة.

وعلى الرغم من رحيل الاستعمار فإن فكرة تقسيم إفريقيا لخدمة المخطط الغربي، وتجزئتها على أسس عرقية، لعزل العرب والمسلمين في الشمال عن بقية أجزاء القارة بقيت كما هي قائمة، وفي سبيل تنفيذ مخططه لجأ الغرب إلى عدة وسائل ؛ كالتنظير لصراع حضاري بين الإفريقي والعربي، وبناء ثقافة متكاملة معادية للعرب، إضافة إلى الوجود العسكري المباشر، واستخدم جيوش التنصير في محاربة الوجود العربي والإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء.

هذا المخطط الغربي يرمي إلى تحقيق سلة من الأهداف، يأتي على رأسها قطع الطريق أمام الحضارة العربية والإسلامية لتجد لها موطئًا مستقرًّا في العمق الإفريقي، ومحاربة الوجود الإسلامي، وجعل القارة الإفريقية بحيرة مسيحية تنفر من الوجود العربي والإسلامي، بجانب إحكام السيطرة على الموارد الإفريقية الهائلة دون منازع عربي وإسلامي.

ولا يجب أن نغفل الذراع الإسرائيلي ودوره في تنفيذ المخطط الغربي، إذ تتلاقى رغبتهما في احتواء ومنع التمدد العربي والإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء.

تحتاج الدول العربية إلى استراتيجية مضادة توقف مفعول المخطط الغربي، وتحافظ على الوجود العربي والإسلامي، وتدعم بقاءه في إفريقيا عامة وإفريقيا جنوب الصحراء خاصة. ولا بد أن تنطلق هذه الاستراتيجية من هدف واضح وأساسي هو الحفاظ على المصالح العربية والإسلامية في إفريقيا وتدعيم هذا الوجود، والتصدي للمخططات الغربية.

أفكار و مقتطفات

- الصدام بين الحضارات والأديان بلغ غايته في العلاقة بين حضارة الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة، وأخذ ذلك الصدام بُعدًا تنظيريًّا قويًّا، خاصة بعد كتاب صامويل هينتنجتون الذي وسمه بـ«صدام الحضارات».

- يربط بين العرب والأفارقة مجموعة من العوامل المشتركة؛ تتمثل في المرتكزات التاريخية والجغرافية، والدينية والاقتصادية، والتي صهرت الجانبين في بوتقة واحدة، ووجدت صداها في القبول الإفريقي للدين الإسلامي الذي انتشر في إفريقيا، كما لم ينتشر في قارة سواها، وعاش العرب في الكنف الإفريقي كما لم يتعايشوا في قارة أخرى.

- الأجندة الغربية وضعت الوجود العربي في إفريقيا على قمة أولوياتها، وراحت ترسم للقارة على العموم، ولإفريقيا جنوب الصحراء خاصة، مصيرًا يهدف إلى عزل الوجود العربي والإسلامي شمال القارة عن جنوبها، بشد بعض الأطراف وبترها من جغرافية العرب لجعل مناطق التماس في السودان، والنيجر، وتشاد وغيرها سدًّا مانعًا من التواصل بين شمال القارة وجنوبها.

- فرضت فرنسا الاستعمارية ثقافتها ونمطها التغريبي على الشعب الموريتاني، وخلّفت النزعة العنصرية بين «البيضان» و«السودان»؛ إذ نشبت العديد من الصراعات بين أبناء البلد الواحد، وقد بذلت فرنسا كل الجهود لتشويه الأصالة الموريتانية، حتى لا تنتشر اللغة العربية والإسلام في إفريقيا؛ لأن موريتانيا كانت على الدوام جسرًا بين إفريقيا والحضارة العربية والإسلامية.

- خريطة إفريقيا الجديدة، كما يتصورها الغرب والأمريكان في السياق المعاصر للمخطط القديم، يظهر منها جليًّا الرغبة في جعل الوجود العربي منفصلاً، بحيث يشكل بمفرده كيانًا متمايزًا عن بقية القارة.

- لأهمية وكبر مساحة حجم الدولة السودانية، وأهميتها الاستراتيجية كهمزة وصل، وجسر ناقل للثقافة والحضارة العربية والإسلامية للعمق الإفريقي، فقد جرى التركيز عليها في المخطط باعتبارها نقطة البدء، وقاعدة انطلاق لتنفيذ الاستراتيجية الغربية في إفريقيا.

- تعرض العرب «الطوارق» في النيجر للاضطهاد منذ الاستقلال؛ نتيجة النزعة الإثنية التي زرعها الاستعمار، ويرعاها الغرب الآن، ووصل هذا الاضطهاد إلى ذروته عام ١٩٩٢م، عندما ادعت الحكومة النيجرية أن العرب في الشمال يسعون إلى الانفصال.

- أشعل الغرب صراعًا حول الهوية الإفريقية مقابل الهوية العربية الإسلامية، وجعل الهويتين في مقابلة بعضهما، بعدما مزج الإسلام بينهما في تناغم وتناسق بديع لقرون طويلة.

- يعد الراحل جون جارنج وموسيفيني وأفورقي هم القادة الأفارقة، الذين تُطلِق عليهم الأدبيات الأمريكية اسم «القادة الجدد»، الذين تربوا على مائدة التنصير والعداء للعرب والمسلمين من قبل، ويشكلون الآن رافعة للمخطط الغربي بكل تفاصيله وتجلياته المعاصرة.

- في مخططها للتواصل وجذب هذه الكيانات بعيدًا عن العرب الشماليين نجد أن اللجنة المشتركة للخبراء السياسيين والاستراتيجيين بالكونجرس الأمريكي تقدمت بمشروع مبادرة أطلقت عليها «المبادرة الأمريكية للتواصل مع مسلمي إفريقيا جنوب الصحراء» ؛ وذلك لوقف انتشار ما وصفته بـ «الأصولية الإسلامية».

- استخدم الغرب جيوش التنصير في محاربة الوجود العربي والإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء، ولذلك مثَّلت إشكالية الوجود العربي والإسلامي في إفريقيا حضورًا لافتًا على غالب أجندات وفعاليات مؤتمرات التنصير المختلفة قديمًا وحديثًا.

- تعتمد الولايات المتحدة على إشعال الحروب والنزاعات بين الدول العربية ودول الجوار الإفريقي، وتسميم الأجواء بينهما ؛ لتصفية الوجود العربي في الدول ذات الغالبية الإفريقية، وترتيب أوضاع القارة بما يحقق رؤيتها السياسية والاقتصادية.

- الرغبة السادية لإثبات تفوق الجنس الغربي وحضارته، والتي عبر عنها فرانسيس فوكاياما في كتابه «نهاية التاريخ وخاتم البشر»، شكلت الدافع والحافز لدى الغرب لمحاولة كبح التمدد العربي الإسلامي المنافس والعدو اللدود له، وحصاره جغرافيًّا في أطراف القارة الشمالية، وحضاريًّا عن التواصل مع الجنوب الإفريقي والقضاء على ذلك الوجود في منطقة جنوب الصحراء في حملة «تطهير» عرقي لهذا الجنس العربي في العمق الإفريقي.

- محاربة الوجود الإسلامي وجعل القارة الإفريقية بحيرة مسيحية تنفر من الوجود العربي والإسلامي بقدر انجذابها إلى العالم الغربي المسيحي ؛ كان وما زال على رأس الأهداف التي يصبو الغرب لتحقيقها من وراء مخططه المشار إليه.

- نجحت «إسرائيل» منذ النصف الثاني من الخمسينيات، وحتى الآن، في بناء نفوذ سياسي ملموس لها في داخل عدد ضخم من الدول الإفريقية، كما ثبتت دعائم الوجود العسكري المباشر، خاصة في الدول الإفريقية ذات التماس الجغرافي مع العالم العربي، بهدف استكمال حزام التطويق للدول العربية، والذي يمتد من البحر الأحمر ومنابع النيل حتى دول جنوب الصحراء.

- استطاعت الدعاية الصهيونية أن تبث أفكارًا ومعتقدات غير حقيقية عن العرب وعلاقتهم بالأفارقة، لاسيما فيما يتناول موضوع الرق والاستعباد، وهو ما أدى إلى إيجاد صورة نمطية إفريقية عن الإنسان العربي تتسم بالتشويه والكذب، في حين رسمت صورة عكسية لليهودي تتسم بإيجاد قواسم مشتركة مع الإفريقي.

- الحرب على الهوية والحضارة العربية والإسلامية، لا تستهدف أطرافها، ولكن تسعى أيضًا لحرق عمقها الاستراتيجي ووأْدها في موطنها، وشلّ حركتها وفاعليتها في المحيط الإفريقي.

- تحتاج الدول العربية إلى استراتيجية مضادة تُوقف مفعول المخطط الغربي، وتحافظ على الوجود العربي والإسلامي، وتدعم بقاءه في إفريقيا عامة، وإفريقيا جنوب الصحراء على وجه الخصوص.

الاستراتيجية الغربية لاحتواء الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء

أ. عصام زيدان : باحث سياسي

مقدمة:

الصدام بين الحضارات والأديان بلغ غايته في العلاقة بين حضارة الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة، وأخذ ذلك الصدام بُعدًا تنظيريًّا قويًّا، خاصة بعد كتاب صامويل هينتنجتون الذي وسمه بـ«صدام الحضارات».

وساحة هذا الصراع الحضاري لا تتوقف عند جغرافية محددة أو بلد ما، بل نجدها ساحة للصراع الممتد، الذي يشمل جغرافيا كل وجود عربي أو إسلامي، يمكن أن يزاحم الحضارة الغربية، أو يعوق نفوذها وتقدمها ووصولها إلى مآربها الاستعمارية.

وفي إفريقيا يشتد هذا الصراع، ويأخذ بُعدًا مزدوجًا، فهو من زاويةٍ صراعٌ بين الحضارة العربية والإسلامية والحضارة الغربية على حاضر القارة ومستقبلها، ومن زاويةٍ أخرى نرى الغرب في سبيل كسب المعركة يؤجِّج صراعًا حضاريًّا آخر بين العرب وإفريقيا، وأشعلها حربًا على الوجود العربي والإسلامي في القارة، هادفًا إلى حصار هذا الوجود في شريط ساحلي ضيق، وراح يصنع من ورائه أخدودًا عميقًا فاصلاً بين مسلمين عرب، ومسلمين أفارقة جنوب الصحراء من ناحية، وينسج حاجزًا وسدًّا منيعًا بين حضارة عربية شمال القارة، وحضارة إفريقية يريدها أن تسود القارة من ناحية أخرى.

وفي هذه الدراسة نتناول «الاستراتيجية الغربية لاحتواء الوجود العربي في إفريقيا جنوب الصحراء» من خلال التمهيد بسياق تاريخي موجز عن تاريخية الوجود العربي والإسلامي في إفريقيا، والروابط المتشعبة التي صهرت العرب والأفارقة، حتى أصبحا لُحْمةً واحدة، على أن نتبع ذلك ببيان المقصود بإفريقيا جنوب الصحراء جغرافيًّا، ثم نتناول تلك الاستراتيجية المشار إليها من خلال أربعة محاور رئيسة:

المحور الأول: عرض الفكرة الأساسية التي تدور حولها هذه الدراسة، متضمنًا عمقها التاريخي، ومشفوعًا بأبعادها المعاصرة.

المحور الثاني: الوسائل التي اتبعها الغرب لتنفيذ المخطط.

المحور الثالث: أهداف الاستراتيجية الغربية من المخطط.

المحور الرابع: الدور الإسرائيلي في تنفيذ المخطط الغربي.

على أن نعرض في الختام لأهم النتائج، والاستراتيجية المضادة التي نراها ضرورية لمواجهة ما يسعى إليه الغرب وما يخطط له.

تمهيد:

يربط بين العرب والأفارقة مجموعة من العوامل المشتركة تتمثل في المرتكزات التاريخية والجغرافية والدينية والاقتصادية، والتي صهرت الجانبين في بوتقة واحدة، ووجدت صداها في القبول الإفريقي للدين الإسلامي الذي انتشر في إفريقيا، كما لم ينتشر في قارة سواها، وعاش العرب في الكنف الإفريقي كما لم يتعايشوا في قارة أخرى.

فعلى الرغم من أن الأمة العربية لها وجود آسيوي، وإفريقي مشهود، ورغم أن أصل العرب ومنبت الإسلام هو الجزيرة العربية؛ إلا أن الحضور العربي والإسلامي في إفريقيا كان له من الخصائص والميزات الفريدة التي ساهمت في كون أغلبية العرب أفارقة، كما أن أغلبية الأفارقة مسلمون.

> الحضور العربي والإسلامي في إفريقيا كان له من الخصائص والميزات الفريدة التي ساهمت في كون أغلبية العرب أفارقة، كما أن أغلبية الأفارقة مسلمون.

تاريخ الوجود العربي والإسلامي في إفريقيا:

ترجع الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية إلى ما قبل ظهور الإسلام، وهو ما ذهب إليه بعض المؤرخين مثل ابن خلدون الذي أشار في تاريخه إلى أن عددًا من القبائل العربية اتخذت طريقها، ووصلت إلى إفريقيا قبل دخول الإسلام إلى تلك القارة.(١)

أما الوجود العربي بعد الإسلام فيُؤَرَّخ له بهجرة الصحابة الأولى للحبشة في رجب من السنة الخامسة للبعثة، وكان عددهم مكونًا من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة على رأسهم عثمان بن عفان، ومعه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٢)

وقد عمّ الإسلام شمال إفريقيا منذ منتصف القرن الهجري الأول، وبدأ زحفه في العمق الإفريقي، وامتد أثره إلى معظم دول غرب ووسط إفريقيا، وكان له انتشاره الواسع كذلك في القرن الإفريقي وجنوب القارة، بحيث جرى القول في منتصف القرن العشرين بأننا نكاد نجد من بين كل ثلاثة أفارقة اثنين منهم مسلمين، وصح في وجدان المسلمين وحسابهم أن إفريقيا قارة الإسلام.(٣)

إفريقيا جنوب الصحراء:

إفريقيا السوداء، أو إفريقيا جنوب الصحراء، هو المصطلح المستخدم لوصف المنطقة من القارة الإفريقية التي تقع جنوب الصحراء الكبرى(٤)

«واصطلاح إفريقيا جنوب الصحراء تسمية أكاديمية بحتة لا يسندها أي ضابط علمي؛ حيث جاءت هذه التسمية الأكاديمية لفصل بعض أجزاء القارة».(٥)

ومنطقة التماس هذه بين الشمال الإفريقي، وإفريقيا جنوب الصحراء، وإن كانت تفتقر إلى المقومات والإمكانيات الضخمة من المنظور الاقتصادي والجغرافي، إلا أنها تكتسب أهميتها الاستراتيجية من جانبين:

الأول: أنها تمثل المعبر الأساسي الذي يدخل منه الإسلام إلى بقية مناطق القارة في الوسط والجنوب.

الثاني: أنها أكثر المناطق التي تضم تشكيلة متنوعة من القبائل العربية والإفريقية.

الاستراتيجية الغربية لاحتواء الوجود العربي في إفريقيا جنوب الصحراء:

نتناول تلك الاستراتيجية، كما سبق ونوهنا، من خلال أربعة محاور رئيسة كالتالي:

(١) ابن خلدون: كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٧م، ص ٣٧٠.

(٢) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٦٧.

(٣) الصراع الإسلامي - المسيحي في إفريقيا، بروفيسور عون الشريف قاسم، موقع معهد مبارك قسم الله الإلكتروني للبحوث ودراسات التنصير بإفريقيا.

(٤) موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

(٥) الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا، د.عبد العليم عبد الرحمن خضر، العدد (١٨٢) من سلسلة دعوة الحق، ١٩٩٧/٧/٦م، ص٦٦.

المحور الأول: المخطط الغربي وفكرته الأساسية:

الأجندة الغربية وضعت الوجود العربي في إفريقيا على قمة أولوياتها، وراحت ترسم للقارة على العموم، ولإفريقيا جنوب الصحراء خاصة، مصيرًا يهدف إلى عزل الوجود العربي والإسلامي شمال القارة عن جنوبها، بشدّ بعض الأطراف وبترها من جغرافية العرب؛ لجعل مناطق التماس في السودان، والنيجر، وتشاد وغيرها سدًّا مانعًا من التواصل بين شمال القارة وجنوبها.

فالغرب يسعى لفصل الكيان العربي في الشمال، والذي يبدأ من مصر إلى موريتانيا مرورًا بشمال السودان، وإعادة توزيع القبائل العربية صاحبة الوجود في إفريقيا جنوب الصحراء بعيدًا عن الكيانات التي يُرَاد لها أن تكون إفريقية خالصة؛ باللعب على ثنائية «الإفريقي والعربي»، و«المواطنين الأصليين في مقابل العرب المستعمرين»، وتحويل الصحراء إلى عازل جيوسياسي بين الجانبين.

وسنتناول هذا المخطط، في عمقه التاريخي وأبعاده المعاصرة، على النحو التالي:

أولاً: العمق التاريخي للمخطط الغربي:

الحديث عن مؤامرات الغرب وخططه ضد الأمة العربية والإسلامية يقع غالبًا فريسة النظرة النقدية لـ «نظرية المؤامرة»، وهو ما قد يُفَوِّت على الأمة واقعية التعامل مع ما يُحاك لها ويُدَبَّر، ومن هنا رأينا أن التعرض للعمق التاريخي للمخطط الذي يُحاك، والمؤامرة التي تسري في روح الغرب وجسده ضد الوجود العربي في إفريقيا جنوب الصحراء ضروريٌّ لقطع الطمع على من يريد أن يشجب على الأمة رؤية واقعها بصورة تتضح فيها كافة تفاصيل المؤامرة؛ ولإثبات أن ما يحاك الآن ويدبر ليس إلا امتدادًا لرؤية غربية ضاربة بجذورها في عمق التاريخ الاستعماري للقارة.

يقول بازيل دافدسون في كتابه «عودة للحضارة الإفريقية»: «إن الفهم السائد في أوروبا حتى القرن التاسع عشر هو أن إفريقيا جنوب الصحراء جغرافيا بلا تاريخ، وأنها ما دخلت التاريخ إلا بعد الغزو الأوروبي. كان هذا فهمًا أيديولوجيًّا برَّروا به الغزو الاستعماري، وسياسات التمكين لمصالحهم وثقافاتهم على حساب التراث الإفريقي، لاسيما الروابط الدينية والثقافية والاقتصادية بين شعوب إفريقيا شمال وجنوب الصحراء».(٦)

وتاريخيًّا نجد أن الغارة الصليبية على شعوب جنوب الصحراء الكبرى تزامنت مع بداية الغزو الأوروبي لشمال إفريقيا والصحراء الكبرى، حيث قُسِّمت إفريقيا في مؤتمر برلين (١٨٨٤ـ ١٨٨٥) بين المستعمرين الأوروبيين، وكان لبريطانيا وفرنسا النصيب الأوفر من المستعمرات، فقد وقعت مصر والسودان بيد بريطانيا، ووقعت بلاد المغرب العربي -عدا ليبيا- ومالي والنيجر وتشاد بيد فرنسا.

وقد اتسمت فترة الاستعمار الأوروبي لإفريقيا بظاهرتين أساسيتين شكَّلتا دعامتين أساسيتين قام عليهما المخطط الغربي حينذاك وهما:

١- فتح المجال للمنظمات التنصيرية:

وكانت خطة التنصير ترمي إلى هدفين اثنين:

١- تنشئة وإعداد نُخَب تتشرب المفاهيم الغربية وقيم المستعمر الأوروبي؛ لتكون بمثابة العقل المبرمَج آليًّا لخدمة الأهداف الغربية في القارة مستقبلاً.

٢- مواجهة الوجود الإسلامي المتمركز في إفريقيا جنوب الصحراء.

٢- زرع النزعة الإثنية عند الشعوب الإفريقية:

فقد عملت الإدارات الاستعمارية على جعل الوعي الإثني حقيقة ملموسة لدى الأفارقة، وكان بمثابة القنبلة الموقوتة التي يمكن أن تنفجر في أي لحظة إذا ما توافر لها المناخ المواتي.

(٦) قضية وسؤال: الصحراء الكبرى.. واصلة أم فاصلة، الصادق المهدي، الشرق الأوسط، ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٦م، العدد ١٠٠٠٨.

كيف ظهرت الآثار السياسية للاستعمار الغربي لإفريقيا في عمقها التاريخي؟!

ظهرت الآثار السياسية للاستعمار، في إطار مخططه لعزل العرب والإسلام شمال القارة عن جنوبها، في عدة نماذج نذكر منها:

١- الاستعمار البريطاني:

ترك الاستعمار البريطاني بصماته السيئة على العلاقات العربية الإفريقية، عن طريق وضع بذور لشد الجنوب السوداني بعيدًا عن الشمال تمهيدًا لبتره، وفي النهاية أفرقة جنوب السودان.

واتخذت بريطانيا في سبيل ذلك عدة وسائل منها:

١- إضعاف الوجود الشمالي في الجنوب بمنع العرب المسلمين من الشمال من دخول الجنوب.

٢- الحدّ من انتشار الإسلام في الجنوب، سواء بإحلال الإنجليزية محل العربية، أو بتشجيع اللغات المحلية، وتفعيل دور الإرساليات التبشيرية.

٣- العمل على التخلص من الموظفين والتجار الشماليين، وإبعادهم عن الجنوب[٧].

٢- الاستعمار الإيطالي:

حاول الاستعمار الإيطالي وقف المد العربي الإسلامي إلى داخل القارة الإفريقية، وسد الإيطاليون -باستعمارهم لمناطق شرق إفريقيا- المنافذ التي كان يستخدمها التجار العرب الذين كانوا يتوغلون داخل القارة حاملين معهم الإسلام والحضارة واللغة العربية، كما قضى الإيطاليون في طرابلس على تجارة القوافل الليبية إلى داخل القارة الإفريقية، تلك التجارة التي أثر فيها سلبًا الاستعمار البريطاني لمصر والفرنسي لتونس.

وقضى الاستعمار الإيطالي أيضًا على الزوايا السنوسية في إفريقيا، وساعد بذلك على خلق فاصل بين إفريقيا شمال الصحراء وإفريقيا جنوبها؛ إذ لم تكن الصحراء قبل المد الاستعماري فاصلاً إنما امتلأت دروبها بالتجار العرب والأفارقة.[٨]

٣- الاستعمار الفرنسي:

فرضت فرنسا الاستعمارية ثقافتها ونمطها التغريبي على الشعب الموريتاني، وخلّفت النزعة العنصرية بين «البيضان»، و«السودان»؛ إذ نشبت العديد من الصراعات بين أبناء البلد الواحد.

وقد بذلت فرنسا كل الجهود لتشويه الأصالة الموريتانية، حتى لا تنتشر اللغة العربية والإسلام في إفريقيا؛ لأن موريتانيا كانت على الدوام جسرًا بين إفريقيا والحضارة العربية والإسلامية.[٩]

ثانيًا: المخطط الغربي في سياقه المعاصر:

على الرغم من رحيل الاستعمار وانهيار الإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية في الحرب العالمية الثانية، فإن فكرة تقسيم إفريقيا لخدمة المخطط الغربي، وتجزئتها على أسس عرقية؛ لعزل العرب المسلمين في الشمال عن بقية أجزاء القارة بقيت كما هي قائمة، وهذا ما تؤكده دراسة للباحث السوداني عبد الهادي الصديق عن «السودان والإفريقانية».

يؤكد الباحث في دراسته أن أغلبية الدول الإفريقية حصلت على استقلالها في الستينيات من القرن العشرين، ونشأت إبَّان ذلك حركة أطلق عليها الإفريقانية «حركة الجامعة الإفريقية» (pan africansim)، ومنها انبثقت حركة «الزنوجة»، التي تعمِّق الفارق بين كل ما هو شمالي عربي مسلم، وجنوبي إفريقي مسيحي.

وأطلت فكرة «الزنوجة» بقوة في المؤتمر السابع الذي انعقد في كمبالا في أغسطس ١٩٩٤م، وقد تم تنظيم المؤتمر من قِبَل مجموعة «التحالف من أجل إفريقيا»، الذين أعدوا -وبإدارة مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق للشئون الإفريقية هيرمان كوهين-

(٧) الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، راوية توفيق، موقع الجزيرة نت، ٢٠٠٦/٥/١٧م.

(٨) المرجع السابق.

(٩) موريتانيا بين الأصالة والعصرنة، يحيى أبو زكريا، موقع الإسلام اليوم الإلكتروني، ٢٠٠٢/٤/٧م.

ما عرف بـ«وثيقة كمبالا».

وتركز جدول أعمال المؤتمر على العناصر الكفيلة بتجزئة وتقسيم القارة؛ انطلاقًا من فكرة «الزنوجة».

ونُوقش في المؤتمر ورقتان تدعمان المخطط الغربي:

الورقة الأولى: وقد حملت عنوان: «استرقاق العرب للأفارقة»، وتأتي في إطار التكريس للمفهوم الاستعماري لتجزئة إفريقيا: إلى إفريقيا السوداء جنوب الصحراء، وإفريقيا البيضاء شمال الصحراء.

الورقة الثانية: كانت بعنوان «نحو خريطة جديدة لإفريقيا»، ونُوقش خلالها خريطة لإفريقيا تُلغَى فيها حدود جميع الدول الإفريقية، وتُقَسَّم فيها القارة إلى ست مناطق على النحو التالي:

١- جمهورية الصحراء، وتضم: مصر وبلاد المغرب العربي حتى موريتانيا، وتضم الجزء الشمالي من جمهورية السودان، وكأنه جزء من جمهورية مصر.

٢- جمهورية إفريقيا الوسطى، وتضم: أوغندا، وكينيا، وزائير، وتشاد، والكاميرون، والكنغو، وإفريقيا الوسطى، وتضم الجزء الجنوبي من السودان.

٣- جمهورية سنغامبيريا (semganmberia)، وتضم دول الحزام السوداني من السنغال إلى نيجيريا مع استبعاد السودان.

٤- جمهورية إريثوميا، وتضم دول القرن الإفريقي: إثيوبيا، وإريتريا، والصومال.. وجيبوتي مع ابتعاد السودان.

٥- الجمهورية السواحيلية، وتضم الدول الناطقة باللغة السواحيلية.

٦- جمهورية موزامبيا، وتضم كل دول الجنوب الإفريقي.(١٠)

وخريطة إفريقيا الجديدة، كما يتصورها الغرب والأمريكان في السياق المعاصر للمخطط القديم، يظهر منها جليًّا الرغبة في جعل الوجود العربي منفصلاً بحيث يشكل بمفرده كيانًا متمايزًا عن بقية القارة.

ملامح وآثار المخطط الغربي في سياقه المعاصر:

تجلت آثار المخطط الغربي الذي تلاقت عليه الثقافة الفرنكفونية والأمريكية في الوقت الراهن في دول التماس على وجه التحديد، وهي السودان وتشاد والنيجر ومالي، ونتناولها على الوجه التالي:

١- السودان:

لأهمية وكبر مساحة حجم الدولة السودانية، وأهميتها الاستراتيجية كهمزة وصل وجسر ناقل للثقافة والحضارة العربية والإسلامية للعمق الإفريقي، فقد جرى التركيز عليها في المخطط باعتبارها نقطة البدء، وقاعدة انطلاق لتنفيذ الاستراتيجية الغربية في إفريقيا.

وتركزت تلك الاستراتيجية في بعدها المعاصر على أمرين أساسيين:

أ- استكمال مخطط فصل الجنوب عن الشمال، وهو الهدف الذي زرعت بذوره بريطانيا من قبل، وتكوين دولة مسيحية في الجنوب تصد أي توجه عربي، أو إسلامي يحاول الولوج إلى عمق القارة الإفريقية.

وقد ظهر ذلك جليًّا في الاقتراح الأمريكي بإقامة منطقة عازلة بين الجانبين: الشمال والجنوب، تكون منزوعة السلاح، ويشرف عليها خبراء غربيون، ودعوتها للإسراع بترسيم الحدود بين الجانبين.

ب- سلخ دارفور، ومحاولة إلحاقها بالجنوب لتسييج الجزء الشمالي، وقطع امتداده الإفريقي غربًا كما قطع جنوبًا.

٢- تشاد:

ظهرت النزعة الإثنية العِرْقية في تشاد على مستوى شعبي ومؤسسي كحصاد لغرس استعماري سابق، يجد الدعم والتأييد حتى الآن من قبل القوى الغربية.

(١٠) مجلة المجتمع، ٢٠٠٣/١/١١م، العدد، ١٥٣٤، بتصرف.

فقد دشنت تشاد سياسة الاضطهاد ضد العرب، عندما قام الرئيس التشادي السابق المسيحي فرانسوا تومبالباي عام ١٩٧٣م بحملة لأفرقة تشاد، فمارس الاضطهاد ضد العرب في الشمال؛ مما دفع عشرات الآلاف من هؤلاء إلى مغادرة البلاد باتجاه دول الجوار.(١١)

وتلك السياسة ما زالت قائمة حتى الآن، وظهرت جلية سافرة في استهداف حكومة الرئيس الحالي إدريس ديبي، والميليشيات المتحالفة معها- والمسماة «توروبورو»- العربَ في أماكن تواجدهم، خاصة في قرية «جوز أمير» و«أراديب»، حيث أكدت وكالة اللاجئين التابعة للأمم المتحدة بأن انعدام الأمن أدى إلى نزوح نحو ٣٠٠٠٠ من عرب تشاد.(١٢)

٣- النيجر:

تعرض العرب «الطوارق» في النيجر للاضطهاد منذ الاستقلال، نتيجة النزعة الإثنية التي زرعها الاستعمار، ويرعاها الغرب الآن، ووصل هذا الاضطهاد إلى ذروته عام ١٩٩٢م، عندما ادعت الحكومة النيجرية أن العرب في الشمال يسعون إلى الانفصال.

وإذا كان عرب «الطوارق» يتعرضون لخطر التنصير الداهم والاضطهاد المستمر؛ فإن عرب «المحاميد» كانوا بؤرة الصراع ومحط أزمة لاحت في الأفق في العام ٢٠٠٦م، فقد أعلنت حكومة النيجر في ٢٥ أكتوبر طرد ١٥٠ ألف شخص منهم، وبررت سلطات النيجر حينها قرار الطرد بالتخوف من اندلاع صراع بين عرب «المحاميد» والقبائل المحلية الإفريقية(١٣).

٤- مالي:

تعرّض العرب في مالي فيما يعرف بإقليم «أزواد» لاضطهاد مستمر حتى الآن، من قِبل الحكومة التي يسيطر عليها الزنوج، مما اضطر العرب إلى القيام بثورة عام ١٩٩٠م، وقد قابلت الحكومة هذه الثورة بقمع شديد للعرب، وبحرمانهم من الانتساب إلى الوظائف العامة، ومعاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية في إطار خطة غير خافية لطمس الهوية العربية، وتصفية رموز الإسلام في البلاد(١٤).

> ظهرت النزعة الإثنية العرقية في تشاد على مستوى شعبي ومؤسسي كحصاد لغرس استعماري سابق، يجد الدعم والتأييد حتى الآن من قبل القوى الغربية.

هذه بعض النماذج التي تعبر بوجه واضح عن منحًى واحد في دول التماس العربي – الإفريقي، والتي كانت بمثابة معبر العرب والإسلام للعمق الإفريقي، يتمثل في محاربة الوجود العربي وتصفيته، وهي السياسة التي، كما سبق وأسلفنا، نجد جذورها في التاريخ الاستعماري الغربي للقارة، والتي ما زال الغرب يرعاها حتى الآن.

المحور الثاني: وسائل تنفيذ المخطط الغربي:

لجأ الغرب إلى عدة وسائل لتحقيق مخططه، ومن هذه الوسائل الآتي:

١- التنظير لصراع حضاري وإشعال الهوية الإفريقية في مواجهة العربية:

أشعل الغرب صراعًا حول الهوية الإفريقية مقابل الهوية العربية الإسلامية، وجعل الهويتين في مقابلة بعضهما، بعدما مزج الإسلام بينهما في تناغم وتناسق بديع لقرون طويلة.

وقد نجح الاستعمار الغربي في مسعاه لتفخيخ العلاقة العربية الإفريقية على نحو واسع، وما زال على توجهه ذلك، مستغلاً النزاعات التي تدور حول الرعي والزراعة، وتحريفها إلى نزاع عِرْقي بمدلولات حضارية.

ومن دلائل هذا التوجه أزمة دارفور التي روَّج الغرب لها باعتبارها مواجهة عربية إفريقية.

(١١) محمد خليفة، مأساة العرب في الصحراء الكبرى، صحيفة الخليج الإماراتية ٢٠٠٦/١١/١٢م.
(١٢) وكالة رويترز للأنباء ٢٠٠٧/٧/١٥م.
(١٣) الجزيرة نت، ٢٠٠٦/١٠/٢٥م.
(١٤) سيد أحمد ولد باب، إقليم «أزواد» بين ضياع الهوية ومطامع القوى الأجنبية، العربية نت، ٢٠٠٧/١٠/٣م، بتصرف.

٢- استغلال وتفعيل طاقة «القادة الجدد»:

استغل الغرب في تأجيج هذا الصراع الحضاري ما يطلق عليهم «القادة الجدد»، الذين يحملون لواء «الإفريقانية» في مواجهة العربية، ويدينون بالولاء للمخطط الغربي في جعل دول التماس بمثابة حائط صدّ ضد التمدد العربي والإسلامي.

ويعد الراحل جون جارنج، وموسيفيني، وأفورقي هم القادة الأفارقة الذين تطلق عليهم الأدبيات الأمريكية اسم «القادة الجدد»، الذين تربوا على مائدة التنصير والعداء للعرب والمسلمين من قبل، ويشكلون الآن رافعة للمخطط الغربي بكل تفاصيله وتجلياته المعاصرة.

٣- بناء ثقافة متكاملة معادية للعرب:

حاولت بعض القوى الغربية إظهار الوجود العربي في إفريقيا على أنه وجود غير أصيل، وأنه مرتبط بتجارة الرقيق، التي سبق ومارسها الغرب على نطاق واسع، وفرَّغ القارة من طاقات بشرية هائلة.

وفي إطار مخطط طويل الأمد تم بناء ثقافة متكاملة معادية للعرب، ورسمت لهم صورة نمطية ننقل بعضًا من ملامحها من ورقة بحثية قدمها كويسي كوا براه، مدير مركز الدراسات المتقدمة في المجتمعات الإفريقية بكيب تاون، عنوانها «رؤية استراتيجية جيوسياسية للعلاقات العربية الإفريقية» في ٢٠٠٤/٥/٢٢م، وفيها يقول ما نصه: «لقد مال الأفارقة إلى عدم الإفصاح عن رِيَبهم وشكوكهم واعتراضاتهم بما يخص العلاقات العربية الإفريقية في هذه القارة. بل إن ثمة ميل لديهم للصمت عن تاريخ الرق الذي قاده العرب في القارة».(١٥)

٤- اتباع سياسة «اللاستقرار البنّاء» لشد الأطراف وبترها:

سياسة الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس الحالي جورج بوش تقوم على فكرة «الفوضى الخلاقة»، على حد تعبير وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس، أو ما سبق أن أسماه «روبرت ساتلوف» مدير مؤسسة واشنطن لشئون الشرق الأدنى بسياسة «اللاستقرار البنّاء»، التي تعني إحداث هزات عنيفة داخل دول المنطقة العربية لخلخلة أوضاعها، وإعادة بنائها وفق النسق المرغوب فيه أمريكيًّا.(١٦)

وسنزيد هذه الفكرة وضوحًا عند التعرض لاستراتيجية شد الأطراف وبترها التي تتبعها «إسرائيل» في إطار دعمها للمخطط الغربي.

٥- الوجود العسكري المباشر:

تسعى الولايات المتحدة لوجود عسكري قوي في المنطقة جنوب الصحراء، تحت مسمى مكافحة «الإرهاب»، فقد أطلقت برنامجًا عسكريًّا أطلقت عليه اسم «مبادرة عموم الساحل»، تقوم بموجبه بتدريب جيوش عدة دول منها: مالي، تشاد، والنيجر، وأعلنت مؤخرًا أنها سوف تنشئ قيادة للعمليات في إفريقيا «أفريكوم»، على نمط القيادة العسكرية المركزية التي تشرف على العمليات في الشرق الأوسط.

واللافت للنظر أن «القيادة الجديدة مخصصة للعمل في مناطق بإفريقيا، تقع على خط التماس مع العالم العربي، وتتميز بوجود أغلبية إسلامية فيها مثل شرق ووسط وغرب إفريقيا، أو ما يسمى في لغة السياسة بإقليم الساحل وإفريقيا تحت الصحراء، ولا يوجد حديث حول أي عمل لهذه القوة العسكرية في مناطق جنوب إفريقيا بدءًا من خط الاستواء إلى الجنوب.. وهذا ما يدعونا إلى القول بأن المبدأ هو نفسه المبدأ الاستعماري القديم القائم على استعمال القوة المسلحة لعزل العرب عن إفريقيا، ثم اتخاذ إقليم جنوب الصحراء بعد ذلك نقطة وُثُوب على الدول العربية».(١٧)

(١٥) ماذا وراء دارفور؟ ممدوح الشيخ، موقع الشهاب الإلكتروني للإعلام.

(١٦) غزو السودان لتدشين القرن الإفريقي الكبير، محمد جمال عرفة، إسلام أون لاين، ٢٠٠٦/٩/١٦م.

(١٧) قيادة أمريكا الإفريقية، د. محمد يحيى، وكالة الأخبار الإسلامية

٦- التواصل مع مسلمي إفريقيا جنوب الصحراء:

مدت الولايات المتحدة يدها للمسلمين جنوب الصحراء؛ بغية قطع طمعهم عن التواصل مع المسلمين العرب شمال القارة.

وفي مخططها للتواصل وجذب هذه الكيانات بعيدًا عن العرب الشماليين نجد أن اللجنة المشتركة للخبراء السياسيين والاستراتيجيين بالكونجرس الأمريكي تقدمت بمشروع مبادرة أطلقت عليها «المبادرة الأمريكية للتواصل مع مسلمي إفريقيا جنوب الصحراء»؛ وذلك لوقف انتشار ما وصفته بـ«الأصولية الإسلامية».

وتتضمن المبادرة عدة برامج ونشاطات، منها تخصيص أموال لتمويل برامج تعليمية ومشروعات؛ لتحل تلك الأموال محل المعونات العربية والإسلامية التي تزعم المبادرة أنه «يشتبه في وصولها لجماعات متطرفة».

٧- جيوش التنصير:

استخدم الغرب جيوش التنصير في محاربة الوجود العربي والإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء، ولذلك مثلت إشكالية الوجود العربي والإسلامي في إفريقيا حضورًا لافتًا على غالب أجندات وفعاليات مؤتمرات التنصير المختلفة قديمًا وحديثًا.

ولذلك حرَّك الغرب جيوشًا من الجمعيات التنصيرية، وما يعرف بالجمعيات التطوعية غير الحكومية؛ بغرض محاصرة التمدد الطبيعي للإسلام داخل إفريقيا السوداء، وتغليب الهوية الإفريقانية.

فإتاحة المجال أمام النشاطات التنصيرية كان من بين سلة الأهداف الغربية في إطار مخططها الكلي للاستحواذ على القارة، كما سنرى، واستخدمت هذه النشاطات في الوقت ذاته كذراع قوي لوقف التمدد الإسلامي والعربي في إفريقيا جنوب الصحراء.

(نبأ) ٢٠٠٧/٩/٩م.

٨- إشعال التوترات بين الدول العربية والإفريقية:

تعتمد الولايات المتحدة على إشعال الحروب والنزاعات بين الدول العربية ودول الجوار الإفريقي، وتسميم الأجواء بينها؛ لتصفية الوجود العربي في الدول ذات الغالبية الإفريقية، وترتيب أوضاع القارة بما يحقق رؤيتها السياسية والاقتصادية.

وقد بدت إرهاصات هذا التوجه في النزاع بين تشاد وليبيا، من جهة، والسنغال ضد موريتانيا، من جهة ثانية، ثم النزاع بين مالي والجزائر.

فمن خلال هذه التوترات تنظر الدول الإفريقية للوجود العربي فيها على أنه يُشكِّل الطابور الخامس المناوئ لها، والمتحالف مع أعدائها، ومن ثَم تمارِس ضغوطًا مكثفة على هذا الوجود؛ لطرده أو تصفيته.

المحور الثالث: الأهداف الغربية من وراء المخطط:

هذا المخطط الغربي، في رأينا، يرمي إلى تحقيق سلة من الأهداف الحضارية والدينية والاقتصادية والعسكرية، مما يمكن التعرض له بالصورة التالية:

أولاً: الأهداف السياسية والحضارية:

على رأس الأهداف التي يسعى إليها الغرب من مخططه: قطع الطريق أمام الحضارة العربية والإسلامية لتجد لها موطئًا مستقرًا في العمق الإفريقي، وتصفية ما تبقى من هذا الوجود في إفريقيا جنوب الصحراء، في إطار الصراع المحتدم الذي جمع الغرب وقوده وأزكى ناره.

فالرغبة السادية لإثبات تفوق الجنس الغربي وحضارته، والتي عبَّر عنها فرانسيس فوكاياما في كتابه «نهاية التاريخ وخاتم البشر» بذاتها شكلت الدافع والحافز لدى الغرب لمحاولة كبح التمدد العربي الإسلامي المنافس والعدو اللدود له، وحصاره جغرافيًّا في أطراف القارة الشمالية، وحضاريًّا عن التواصل مع الجنوب الإفريقي، والقضاء على ذلك الوجود في

منطقة جنوب الصحراء في حملة «تطهير» عرقي لهذا الجنس العربي في العمق الإفريقي.

ثانيًا: الأهداف الدينية:

برغم المظهر العلماني الذي يبديه الغرب في مواجهة العالم، ودعوته الدءوبة لفصل الدين عن مجريات الحياة، لاسيما في شقها السياسي، نجد أن الدين ما زال القوة الأساسية المحرِّكة لسياسات الغرب، خاصة تلك التي يواجه بها العالم العربي والإسلامي.

فمحاربة الوجود الإسلامي، وجعل القارة الإفريقية بحيرة مسيحية تنفر من الوجود العربي والإسلامي، بقدر انجذابها إلى العالم الغربي المسيحي، كان وما زال على رأس الأهداف التي يصبو الغرب لتحقيقها من وراء مخططه المشار إليه.

ولتحقيق هذا الهدف كان لا بد من إفساح المجال لتنصير القارة، بعدما شكَّل الإسلام العائق الأساسي أمام نشاطات التنصير، رغم الإمكانيات الهائلة المتوافرة لتلك النشاطات.

ثالثًا: الأهداف الاقتصادية:

تحتفظ إفريقيا باحتياطي ضخم من البترول، من المعادن، والسودان وحدها تملك أكبر احتياطيات غير مستغلَّة من النفط في إفريقيا وأوروبا، وتحتفظ القارة بـ ٥٪ من احتياطي الغاز العالمي، ونحو ثلث احتياطي اليورانيوم، و٥٥٪ من احتياطي الذهب.

والغرب من وراء مخططه يهدف إلى إحكام السيطرة على تلك الموارد الإفريقية الهائلة دون منازع عربي وإسلامي؛ إذ تكفيه المشاكسة القوية من جانب التنين الصيني الذي غرس هو الآخر مخالبه بقوة في القارة.

هذه الرغبة الغربية محفوفة بخوف من تكامل عربي إفريقي، يحقق نهضة غير مسبوقة للطرفين، يدفع هو ثمنها في النهاية.

رابعًا: الأهداف العسكرية:

يتحسب الغرب عامة، والولايات المتحدة على وجه الخصوص، لصراعات عالمية مقبلة، وتريد احتجاز إفريقيا كظهير استراتيجي في هذه الصراعات.

وقد نشرت مجلة «آسيا تايمز أون لاين» في عام ٢٠٠٣م، حوارًا مع المحلل الأمني الأمريكي «مايكل كلير»، مؤلف كتاب «حروب مصادر الثروة»، نوَّه فيه إلى احتمالية زيادة النفوذ الأمريكي في إفريقيا؛ حيث رأى أنها ستكون هي الهدف، وستكون مسرحًا خلفيًّا للحروب القادمة بين القوى المتصارعة.(١٨)

المحور الرابع: الذراع الإسرائيلي ودوره في تنفيذ المخطط الغربي:

نجحت «إسرائيل» منذ النصف الثاني من الخمسينيات، وحتى الآن في بناء نفوذ سياسي ملموس لها في داخل عدد ضخم من الدول الإفريقية، كما ثبتت دعائم الوجود العسكري المباشر، خاصة في الدول الإفريقية ذات التماس الجغرافي مع العالم العربي، بهدف استكمال حزام التطويق للدول العربية، والذي يمتد من البحر الأحمر ومنابع النيل حتى دول جنوب الصحراء.

وعند هذه الرغبة في احتواء ومنع التمدد العربي والإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء تلتقي «إسرائيل» مع المخطط الغربي.

(١٨) إفريقيا.. بحر الثروات وأتون الصراعات، عصام زيدان، موقع مفكرة الإسلام.

وطبقًا لرأي كريستيان توردیني في كتابه «النزاع الإقليمي وسط إفريقيا والشراكة الأمريكية الإسرائيلية»، فإن «الخطط الإسرائيلية المتعلقة بالبحيرات العظمى ومنابع النيل، لا يقتصر الهدف من ورائها على فتح ثغرة في خطوط الأمن القومي والمائي العربيين بواسطة إثيوبيا وإريتريا، بل يتجاوز ذلك إلى جعل أبواب المنطقة مُشْرَعة أمام المصالح الأمريكية»[١٩]

استراتيجية شدّ الأطراف وبترها:

أهم الوسائل التي لجأت إليها «إسرائيل» للمساهمة في تنفيذ المخطط الغربي الذي يتلاقى مع أهدافها وطموحها ما عرف باستراتيجية شد الأطراف وبترها، والتي تحتاج إلى قدر من الإيضاح؛ باعتبارها مفهوم الأساس ومحور الارتكاز للسياسة «الإسرائيلية» الداعمة للمخطط الغربي.

تقوم تلك الاستراتيجية على إيجاد قنوات اتصال مع بعض العِرقيات في الدول ذات الأغلبية العربية؛ لمحاولة نزعها من الوطن الأم، خصمًا كليًّا من رصيد العرب، وإلحاقًا لها بالهوية الإفريقية.

وطبقت «إسرائيل» نظرية شد الأطراف، ثم بترها، من خلال محورين أساسيين:

الأول: استثمار المعطيات المرتبطة بصورة العربي في العيون الإفريقية:

استطاعت الدعاية الصهيونية أن تبث أفكارًا ومعتقدات غير حقيقية عن العرب وعلاقتهم بالأفارقة، لا سيما فيما يتناول موضوع الرق والاستعباد، وهو ما أدى إلى إيجاد صورة نمطية إفريقية عن الإنسان العربي تتسم بالتشويه والكذب، في حين رسمت صورة عكسية لليهودي؛ تتسم بإيجاد قواسم مشتركة مع الإفريقي.

وهذا التزييف المتعمد يمهِّد لبتر الأطراف التي غالبًا ونتيجة الدعاية المكثفة تتكون لديها «القابلية للانفصال» والتمرد على الكيان المركزي.

الثاني: تقديم الدعم والمساندة لحركات التمرد:

بعد تهيئة المناخ المناسب للتمرد، والميل نحو التعلق بالحبل الممدود، تقوم «إسرائيل» بمد يد المعاونة لتلك الحركات؛ حتى يقوى ساعدها في مواجهة السلطة المركزية، ويتسنى لها الوصول لبغيتها المنشودة.

وقد طبقت «إسرائيل» رؤيتها في هذا الشأن على الحالة السودانية منذ فترة مبكرة، وذلك من خلال تقديم الدعم والمساندة لحركة المتمرد جون جارنج جنوب السودان، والآن تقدم دعمها لبعض حركات التمرد الدارفورية لتطبيق الاستراتيجية ذاتها.

وقد برزت تفاصيل الدور «الإسرائيلي» في أزمة جنوب السودان من خلال كتاب صادر عن مركز ديان لأبحاث الشرق الأوسط وإفريقيا التابع لجامعة تل أبيب عام ٢٠٠٣م، بعنوان: «إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان: نقطة البداية ومرحلة الانطلاق»، وهو من تأليف العميد موشي فرجي، وهو ضابط متقاعد من الجيش «الإسرائيلي».

ويشير الكتاب إلى أن ما قامت به «إسرائيل» من دعم لحركة التمرد في جنوب السودان هو استمرار لاستراتيجيةٍ وضعها فريق عمل ضمّ نخبة من أبرز المفكرين في «إسرائيل» في الخمسينيات، أطلق عليها استراتيجية «شد الأطراف وبترها»، حيث سعت إلى إذكاء الصراع، من خلال إقناع الجنوبيين بأن صراعهم يعتبر مصيريًّا، وهو يدور بين شمال عربي مسلم محتل، وجنوب زنجي إفريقي مسيحي.[٢٠]

النتائج:

نخلص من العرض السابق إلى مجموعة من النتائج من أهمها ما يلي:

١- الخريطة السياسية للمنطقتين العربية والإفريقية

(١٩) الأمن العربي وإشكاليات التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا، إحسان مرتضى، موقع الجيش اللبناني على الإنترنت.

(٢٠) الدور الإسرائيلي في البحيرات العظمى وشرق إفريقيا، التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٤- ٢٠٠٥م.

تظهر مدى التلاحم والتلاصق بينهما، فإفريقيا هي العمق الاستراتيجي للوطن العربي، وهي الامتداد الجغرافي له.

٢- الغرب سعَّر من صراع حضاري بينه وبين العرب والمسلمين، ويسعى حثيثًا لتأجيج الصراع الحضاري العربي - الإفريقي.

٣- الصراع الحضاري الجديد الذي يريد الغرب أن يشعله تتسع رقعته لتشمل الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها.

٤- الحرب على الهوية والحضارة العربية والإسلامية، لا تستهدف أطرافها، ولكن تسعى أيضًا لحرق عمقها الاستراتيجي ووأدها في موطنها، وشلّ حركتها وفاعليتها في المحيط الإفريقي.

٥- الصراع في جانبه صراع إرادات يسعى الغرب للانتصار فيه، وما زالت المعركة دائرة، وإن كانت من جانب واحد؛ إلا أنها لم تنته بعدُ، فقد تفشل محاولاته وتُجْهَض خططه بإرادة أعلى وبخطط أنفذ.

٦- للغرب استراتيجية واضحة المعالم، محددة الأهداف والوسائل؛ للوصول إلى هدفه المتمثل في قطع الطريق أمام العرب والمسلمين عن التواصل مع إفريقيا جنوب الصحراء.

٧- المخطط الأمريكي في كثير من جوانبه يتوافق مع الرغبات الإسرائيلية التي كانت بمثابة المخلب للتنفيذ، خاصة في جانب شد الأطراف وبترها عن الوطن الأم.

٨- يستخدم الغرب على نطاق واسع المؤسسات الخدمية والمدنية لبسط نفوذه وتحقيق مخططه، لاسيما ما يخص الجانب الديني المتعلق بالتنصير.

٩- ثمة صراع غربي، خاصة ما بين فرنسا والولايات المتحدة، لجني حصاد المخطط، فالطرفان التقيا على إزاحة الوجود العربي والإسلامي من إفريقيا جنوب الصحراء، ويختلفان على تقاسم النفوذ بينهما.

١٠- في مقابلة هذا الاستراتيجية الغربية يتسم التوجه العربي نحو القارة الإفريقية بالتذبذب وعدم الوضوح، وهو ما ساهم في عدم وجود ممانعة قوية حتى الآن للمخطط الغربي.

١١- الدول العربية ذات الجوار الإفريقي في حاجة ماسة لترميم بنيانها الداخلي؛ بما يفوت على العدو المتربص فرصة اللعب على وتر الإثنيات وقضم أطرافها بعد شدها.

محاور استراتيجية لتدعيم الوجود العربي والإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء

تحتاج الدول العربية إلى استراتيجية مضادة تُوقِف مفعول المخطط الغربي، وتحافظ على الوجود العربي والإسلامي، وتدعم بقاءه في إفريقيا عامة وإفريقيا جنوب الصحراء على وجه الخصوص.

ومن جانبنا نطرح محاور استراتيجية للمواجهة، ونبدأ بمنطلقات وركائز أساسية، ثم نعرض للاستراتيجية في جوانبها المختلفة، ونختم بشروط نراها ضرورية لتفعيل تلك الاستراتيجية.

يستخدم الغرب على نطاق واسع المؤسسات الخدمية والمدنية لبسط نفوذه وتحقيق مخططه، لاسيما ما يخص الجانب الديني المتعلق بالتنصير.

دعائم ومنطلقات استراتيجية المواجهة:

نقصد بتلك الدعائم الأسس التي يجب أن تقوم عليها، وتنطلق منها استراتيجية مواجهة المخطط الغربي، وهي برأينا تشمل الآتي:

١- أن يكون الهدف الأسمى لهذه الاستراتيجية هو الحفاظ على المصالح العربية والإسلامية في إفريقيا وتدعيم هذا الوجود، والتصدي للمخططات الغربية، ولا تشوبها نيات وأغراض خاصة محدودة الرؤية.

٢- ضرورة إعداد تقييم شامل للتعاون العربي الإفريقي؛ للتعرف على الجوانب السلبية التي تراكمت، والوقوف على حجم المشاكل بغية وضع الحلول المناسبة.

٣- أن تكون الاستراتيجية شاملة لكافة الجوانب لا تقتصر على جانب دون آخر.

٤- أن تراعى القدرات والإمكانيات العربية الفاعلة، ولا تحلق في فراغ متوهم يراهن فقط على الرغبات والأماني الحالمة.

٥- الاهتمام بجهود المؤسسات الشعبية والمدنية، بصورة أكبر من غيرها من المؤسسات الرسمية التي قد تكتنفها معوقات كثيرة.

محاور استراتيجية المواجهة:

تعتمد استراتيجية المواجهة في رأينا على ستة محاور هي كالتالي:

أولاً: الجانب العقدي والديني:

يشمل هذا الجانب العناصر الآتية:

١- استخدام كافة السبل المشروعة لمواجهة مخططات التنصير وتغلغلها في إفريقيا جنوب الصحراء، ومحاولة الحد من فاعلياتها ونشاطها، وبيان تناقضاتها وأدوارها المشبوهة في خدمة المخططات الغربية.

٢- تقديم الدراسات الإسلامية الميسرة وبلغات إفريقية لبيان حقيقة الإسلام، والرد على الافتراءات الغربية، مع الاستعانة بالوسائل الإعلامية الأخرى من إذاعة وصحف وغيرها.

٣- زيادة عدد البعثات الدينية ذات الفهم بمضمون المخططات الغربية، والواعية بالتركيبة الذهنية للأفارقة؛ ليسهل التواصل معها، وتؤتي ثمارها المرجوة.

ثانيًا: الجانب الثقافي والتعليمي:

يشمل الجانب الثقافي والتعليمي العناصر الآتية:

١- الاهتمام بنشر الثقافة العربية والإسلامية في إفريقيا، في مختلف المجالات، وتسخير كل الوسائل المناسبة لدعمها، مع توظيف اللغات الإفريقية كمعبر جيد لنقل الفكر العربي والإسلامي إلى المسلمين الأفارقة.

٢- الاهتمام بإعداد أُطُر علمية إفريقية تواكب احتياجات هذه البلدان الواقعية، وتسمح لأبنائها بتولي المناصب الفاعلة والمؤثرة في بلدانهم؛ بزيادة منح المبتعثين من هذه الأقليات للتعلم في البلاد العربية والإسلامية، بما تسمح به إمكانياتها.

٣- الاهتمام بإنشاء وتأهيل المراكز البحثية التي تُعْنَى بالشأن الإفريقي، سواء في الدول العربية شمالاً أو جنوب الصحراء، مع تفعيل الاتصال بالمراكز البحثية الإفريقية ذات التأثير؛ لإزالة ما قد رسخ في العقل الإفريقي البحثي من رواسب منهجية غير صحيحة عن العرب.

٤- مراجعة المناهج الدراسية للوقوف على التشوهات الموروثة عن الجانب العربي والجانب الإفريقي ومحاولة تفنيدها، مع التركيز في مناهجنا التاريخية على الفتوحات العربية والإسلامية لإفريقيا، والقواسم المشتركة بين الجانبين.

٥- إجراء حوارات معمقة بين النُّخَب الفكرية والثقافية العربية والإفريقية؛ للتعرف على نقاط التماس، وقواسم الفهم المشتركة، وتنميتها وإزالة التناقضات.

ثالثًا: الجانب الإعلامي:

يشتمل الجانب الإعلامي على العناصر الآتية:

١- إعادة النظر في التعبئة الإعلامية الذي سادت، والتي كانت سببًا لتشويه صورة الأفارقة في العالم العربي، وتشويه صورة العربي عند الأفارقة، وهو ما كان له مردود سلبي على التعاون بين الجانبين.

٢- إيجاد إعلام سياسي فاعل، يهتم بهموم القارة الإفريقية، والاستفادة من الوسائل القائمة من صحافة وتلفزة وإنترنت.

٣- زيادة المساحة المعلوماتية الإفريقية التي تنشر في

الإعلام العربي، مع العناية بطرح القضايا التي تهم المواطن الإفريقي العربي على مائدة الحوار، وهو ما يتيح رؤية العقل الإفريقي بصورة واضحة، ومن ثم يمكن إجراء اتخاذ الوسائل والإجراءات المناسبة لتعديل وبرمجة هذه الخريطة الذهنية، بما يحقق الصالح العربي والإسلامي والإفريقي كذلك.

رابعًا: الجانب السياسي:

يتضمن الجانب السياسي العناصر الآتية:

١- تفعيل وإيجاد الأطر والمنظمات المشتركة، التي تساهم في تنسيق المواقف السياسية التي تعني العرب والأفارقة، بما يحقق مصلحة ورؤية الجانبين.

٢- الوقوف إلى جانب الحق الإفريقي في القضايا الراهنة التي يمكن أن يكون الدور العربي فيها فاعلاً؛ لقطع الطريق أمام الوجود الإسرائيلي واستغلاله للمواقف السياسية في تدعيم صلته بالأفارقة.

٣- التواصل مع النخب والقيادات الإفريقية السياسية، وعدم ترك المساحات خالية للجانب الغربي والإسرائيلي في استمالة هذه القيادات إلى جانبها.

خامسًا: الجانب الاجتماعي والخدمي:

يشمل الجانب الاجتماعي والخدمي العناصر الآتية:

١- تفعيل وتنشيط دور الجاليات العربية والإسلامية في إفريقيا، وتأصيل سبل التعاون معها، واعتبارها وسيطًا وجسرًا لترسيخ القيم الإسلامية.

٢- الاهتمام بالجاليات الإفريقية في الدول العربية؛ بما يشجعها على التواصل والتلاقي الفكري والحضاري مع العرب والمسلمين، ومن ذلك إقامة مؤسسات خاصة بخدمة أبناء الأقليات الإفريقية في الدول العربية والإسلامية.

٣- دعم منظمات المجتمع المدني العربية والإسلامية لاسيما منظمات الإغاثة التي تعمل على أسس ومنطلقات دينية ووطنية، بما يحقق الفاعلية المطلوبة.

سادسًا: الجانب الاقتصادي والمالي:

يشمل الجانب الاقتصادي والمالي العناصر الآتية:

١- تحويل مسار المدخرات العربية من البنوك الغربية إلى الاستثمار في إفريقيا، خاصة أن البيئة الاقتصادية الإفريقية ما زالت متعطشة لمزيد من الاستثمارات التي تعود بالنفع على الجانبين.

٢- إنشاء شركات عامة ومختلطة بمشاركة رءوس الأموال العربية والإفريقية في القطاعات الإنتاجية الحيوية بإفريقيا.

٣- المساهمة الاقتصادية في تطوير المؤسسات الإفريقية، والمشروعات الخدمية التي تحسن من صورة العربي في عيون الأفارقة.

٤- فتح الطريق أمام التكامل العربي الإفريقي وإبراز الجوانب الايجابية التي تعود على الطرفين بالنفع، برسم خريطة بمجالات الاستثمار في إفريقيا ومجالاته.

٥- تطوير البحوث والدراسات في مجالات العلوم التطبيقية المختلفة؛ لفتح الطريق أمام المستثمرين العرب في إفريقيا.

شروط ضرورية:

نجاح أي استراتيجية، أو مخططٍ ما، يحتاج إلى بيئة مناسبة وشروط ضرورية، وفي رأينا أن الاستراتيجية السابقة تحتاج إلى عدة مقومات لنجاحها:

١- التدرج في الخطوات مع الالتزام ببرنامج زمني محدد لتنفيذ التعاون، وتحديد مسئولية أطرافه، وضمان متابعته في كل فرع تناولناه.

٢- يُنتدَب لهذه الاستراتيجية فريق عمل من الكفاءات والتخصصات المختلفة، كلٌّ في مجاله؛ بحيث يتابع سير عملها ويقوِّم عملها باستمرار.

٣- الابتعاد عن السطحية والتشنجات الفكرية والعصبية المذهبية والأطر الضيقة، وتغليب المصالح الكلية للأمة على الحسابات القصيرة، والمصالح الآنية.

الخاتمة:

لا شك أن التحديات التي تواجه الأمة العربية والإسلامية متشعبة ومتنوعة، ومن أعظم تلك التحديات وأخطرها صرع البقاء والوجود في إفريقيا جنوب الصحراء، والذي يعد أحد جوانب الصرع الحضاري بين المسلمين والغرب، الأمر الذي يقتضي استفراغ الجهد والوسع لمواجهته بخطط مدروسة واستراتيجيات فاعلة.

معلومات إضافية

أمريكا و«القرن الإفريقي الجديد»

تمثل منطقة القرن الإفريقي، بامتداداتها الجيواستراتيجية، أهمية بالغة في التفكير الاستراتيجي للقوى العالمية الكبرى، سواء في مرحلة الحرب الباردة أو ما بعدها. ويأتي الوجود الأمريكي المباشر في المنطقة، والذي ظهرت تفاعلاته بشدة أثناء العدوان الإثيوبي على الأراضي الصومالية؛ ليؤكد على نفس المسلك التاريخي للقوى الاستعمارية الغربية، ومحاولاتها الدءوبة لإعادة صوغ المنطقة بما يحقق أهدافها ومطامعها.

ومنذ انتهاء الحرب الباردة في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي بات واضحًا أن القرن الإفريقي يشكل أحد مكونات الاستراتيجية الكونية الجديدة للولايات المتحدة، سواء من خلال التدخلات العسكرية وفرض العقوبات، أو من خلال مخططات «سياسية» مثل مبادرة القرن الإفريقي الكبير التي طرحتها واشنطن عام ١٩٩٤م، ولكنها فشلت وتهاوت تمامًا بعد الهجوم على السفارتين الأمريكيتين في دار السلام ونيروبي.

وبعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م عادت منطقة القرن الإفريقي مرة أخرى لتحتل مكانة بارزة في الاستراتيجية الأمريكية الكبرى، وفي إطار الرؤية الأمريكية لما تسميه الحرب على الإرهاب، ولكن الإدارة الأمريكية لجأت هذه المرة إلى التركيز على مجموعة من الأدوات والآليات الدائمة لضمان إعادة صوغ المنطقة «أمريكيًّا» مثل: الوجود العسكري المباشر في المنطقة، والاعتماد على بعض دول الأركان الإقليمية مثل إثيوبيا التي أصبحت تمثل الذراع العسكري للولايات المتحدة في القرن الإفريقي.

الأهداف الأمريكية وراء مشروع «القرن الإفريقي الجديد»:

(١) إعادة فك وتركيب المنطقة استراتيجيًّا بما يخدم المصالح الأمريكية:

يشمل القرن الإفريقي الجديد نظمًا ذات توجهات علمانية غير عربية وموالية للغرب. ورغم أن جنوب السودان المستقل قد يصبح جزءًا من هذا المشروع، كما أن دول الأطراف الجنوبية في النظام الإقليمي العربي، وهي جيبوتي والصومال، تدخل في إطار هذا التعريف؛ إلا أن القيادة تظل غير عربية وغير إسلامية؛ حيث تعطى لإثيوبيا؛ التي يُنْظَر إليها دومًا على أنها جزيرة مسيحية وسط بحر إسلامي في المنطقة.

(٢) محاربة كل حركات الإسلام السياسي في دول المنطقة والقضاء عليها:

ظهر ذلك بجلاء من تجربة اتحاد المحاكم الإسلامية في الصومال؛ إذ استطاعت قوات المحاكم، وخلال فترة وجيزة، أن تُعيد فرض الأمن والنظام في العاصمة وكثير من أنحاء الصومال. بيد أن الأدبيات الأمريكية بدأت تحذر من عودة نموذج طالبان في القرن الإفريقي. عندئذ لجأت أمريكا إلى فرض رؤيتها المعادية للحركات الإسلامية من خلال الإطاحة بنظام المحاكم وفرض نظام بديل موالٍ لها.

(٣) منع تكرار السيناريو العراقي في منطقة القرن الإفريقي:

تستخدم الولايات المتحدة أسلوب الضربات الجوية النوعية والتعاون الاستخباراتي مع دول المنطقة؛ لمنع

وقـوع حـرب عصابـات يقـوم بهـا الإسـلاميون والعناصـر الجهاديـة المعاديـة للوجـود الأمريكـي في المنطقـة، وكذلك الدور الإثيوبي المتزايد.

وتأخـذ الإدارة الأمريكيـة هـذا الهـدف بمحمـل الجـد؛ نظـرًا لغلبـة الانتمـاء الإسـلامي علـى التركيبـة الديموغرافية للقرن الإفريقي.

(٤) تأمين الممرات المائية العالمية في البحر الأحمر والمحيط الهندي:

وهـو مـا يرمـي أيضًـا إلى أمـن الكيـان الصهيونـي... ويلاحـظ تركيـز السياسـة الإسـرائيلية في القـرن الإفريقي على دول محورية فيه مثل إثيوبيا وإريتريا.

(٥) تأمين الوصول إلى منابع النفط والمواد الخام:

تمتـاز هـذه المنطقـة بأنهـا غنيـة بثرواتهـا الطبيعيـة. ويبـدو أن الولايـات المتحـدة تسـعى إلى إيجـاد بديـل آخر لنفـط الخليـج العربـي؛ حيث تشـير بعـض المصـادر الأمريكيـة إلى أنـه بحلـول عـام ٢٠١٥م سـتحصل أمريكا على ربع وارداتها النفطية من إفريقيا.

(٦) تقويض الدور الصيني والروسـي وبعض القوى الآسيوية الفاعلة على الساحة الإفريقية، وهو ما يُضْفِي على الصراع الدولي في إفريقيا بُعْدًا جديدًا.

المصدر:

د. حمدي عبد الرحمن حسن، القرن الإفريقي الجديد أمريكيًّا، ملف الأهرام الاستراتيجي، العدد ١٤٧، مارس ٢٠٠٧م (بتصرف).